بسم الله الرحمن الرحيم

التقريب بين أهل الفرق والأديان
أم ردّهم جميعاً إلى الوحي؟

أثار منهج يوصف بالإسلامية في القرن الماضي: فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة، وفي العقود الأخيرة: فكرة الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وذلك بسبب جهل أكثرهم بشرع الله، ولو فقهوا شرع الله لدينه ولخلقه لما انحرف اهتمامهم إلى التقريب بين الفرق والطوائف والأديان على مثل منهج جمع حسنة البنا تجاوز الله عنا وعنه: (نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)؛ عن العمل بأمر الله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾.

ومحاولة التقريب والحوار بين الفرق والملل والنحل على غير منهج الوحي محكوم عليها بالفشل على أي حال إلا أن يشاء الله لأن كل حزب بما لديهم فرحون، كما وصفهم خالقهم في آيات نهيه عن التفرق والتحزب في الدين.

ولهذا حسنة البنا نفسر بنقيضها حكم الفاسد بالتعاون والعذر المطلوب عند الاختلاف بحكم فاسد بالتعصب المطلوب لمنهج المبتدع في الدين والدعوة إليه؛ يقول تجاوز الله عنا وعنه: (ننزه [الفرق والجماعات والأحزاب الدينية الحاضرة] جميعاً عن دعوتنا، فما وافقنا فمرحباً به، وما خالفنا فنحن منه براء) مجموع رسائل ص ١٧ ط. المؤسسة الإسلامية، ويؤكد هذا التعصب لمنهج بوصيته لأتباعه: (فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي أحداً... إذ هي جماع كل خير وغيرها لا يسلم من النقص) مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٢٧ ط. دار الشهاب، (وقال قادة التبليغ والتحرير مثل ذلك، وعليه عمل غيرهم).

وإذا كان هذا رأي أحد مؤيدي التقريب بين أهل السنة والشيعة فكيف بمن هو أشد منه تعصباً للباطل أو الحق؟

إذن، فمحاولة التقريب بين الطوائف والفرق والأحزاب والأديان عبث لا يقره الشرع ولا العقل، ومن جانب آخر فهو - كما يقولون - تحصيل حاصل؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لسلكتموه» متفق عليه.

ومصداق النص الوحي في السنة المصونة اقترب المنسوبون للإسلام - على اختلاف مذاهبهم وشعاراتهم وانتماءاتهم - من أهل الضلال قبلهم فغلوا في حب أوليائهم إلى درجة التقديس والتعظيم والعبادة كما غلا الهندوس في براهما والبوذيون في بوذا واليهود في عزير والنصارى في المسيح، وغلا الشيعة في الأئمة الإثني عشر وغيرهم، وغلا الدروز في الحدود الخمسة، واتهم بعض سادة المنتسبين للإسلام والسنة: أن الله خلقه نبي من نور وجهه وخلق الرفاعي من فضلة هذا النور (الصياد)، و: أنه من جود النبي محمد الدنيا والآخرة ومن علوم علم اللوح والقلم، ولو أعطاه الله من الآيات ما يستحق لأجلي اسم به يدعى داس الرقم (البوصيري)، و: أن العالم مطوي في جبة محمد، وأن عمامة محمد تعلو على العرش (الرواس)[1]. وأخذ المتصوفة المنتسبون للإسلام والسنة من وثنيي الهند دعوى الفناء في ذات الله، ومن النصارى الرهبانية، ومن اليهود: هز الجسم عند الذكر، ومن الشيعة: فكرة الظاهر والباطن من معاني كلام الله، ومن كل الفرق الضالة قبلهم: التعلق بالمخلوق الميت وضعف التعلق بالخالق الحي الذي لا يموت، وإنما هذه أمثال للضلال المبتدع في الماضي والحاضر، ومثل كثير يصعب حصره.

كانت آخر وأهم وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأمته: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت عائشة رضي الله عنها: يحذر مثل الذي صنعوا، متفق عليه، وقال عن النصارى: «أولئك إذا كان

(1) وأنه: (على رأس هذا الكون نقل محمد) البرزنجي ومحمد علوي المالكي.

فيهم الرّجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوّروا تلك الصّور.. أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» متّفق عليه. هذا ما كان يردّده النبي صلى الله عليه وسلم (قبل أن يموت بخمس) في رواية جندب، و(هي حضرة الوفاة) في رواية عائشة، و(آخر ما تكلّم به) في رواية أبي عبيدة رضي الله عنهم أجمعين.

وتقرّب أكثر المنتمين للإسلام - منذ القرن السّادس الهجري - إلى الله بمخالفة أهمّ وصايا رسوله في أهمّ أمور الدّين وهو الاعتقاد الذي لا يغفر الله المخالفة فيه ولم يغفر المخالفة فيما دونه لمن يشاء: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾.

ولولا أنّ الله طهّر معظم جزيرة العرب مرّتين في القرون الثلاثة الأخيرة بالتّعاون بين دولة آل سعود في إحياء التّوحيد والسّنّة لم تخل بقعة واحدة في بلاد المنتسبين للإسلام من مساجد بُنيت على قبر بل عشرات ومئات الأوثان من المقامات والمشاهد والمزارات، وإنّما كان أصل الأوثان والأصنام: البناء على قبور وآثار الأنبياء والصّالحين منذ قوم نوح كما ذكره البخاري (في صحيحه) وابن جرير في تفسيره عن ابن عبّاس لقول الله تعالى عن قوم نوح: ﴿وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾.

ولا يجد أصل السّنّة من المنكر أن يجتمعوا على تقديس قبر أو مقام إبراهيم وآله مع اليهود، أو الخضر مع النّصارى، أو الحسين مع الشّيعة، أو شعيب مع الدّروز، ولا يجد المسلمون (المشركون) من ينكر عليهم من الدّعاة الجماعات والفرق والأحزاب المنتمية للإسلام والسّنّة، أو يهتمّ بهذا الأمر الأعظم من أمور الدّين مثلما يهتمّون (مع الشّيعة والصّوفيّة) بأمر الحجاب أو تحفيظ القرآن أو الجهاد للقوميّة والتّراث والهويّة والسّلطة، أو استغلال المساجد وخطبة الجمعة والدّعوة لغير التّعليم والعمل بأحكام شرع الله الأولى فالأولى، بل للتّسييس والتّرهيب والفتنة ونشر تعاليم الحزب.

وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك بكل تأكيد - فما الهدف من الحوار مع النصارى وهم مثل اليهود والدروز وعامة المسلمين يصفون أنفسهم بالموحدين وأكثرهم كما وصفهم الله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾؟.

وأيه الحاجة إلى التقارب بين المنتمين للسنة وللشيعة وأكثرهم متقاربون بل متماثلون في مخالفة شرع الله وسنة رسوله في أحكام التوحيد والشرك وما دونها:

١) يقدس المنتسبون للتشيع أئمتهم ونقباءهم ويرفعونهم عن مستوى البشر، وقد قال الله تعالى لسيد ولد آدم يوم القيامة: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾، ويقدس كثير من المنتسبين للسنة أقطابهم وأولياءهم وأبدالهم ويدعون أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون.

٢) يدعي بعض المنتسبين للتشيع أن لأئمتهم علوماً ليست لغيرهم من المسلمين ويدعي كثير من المنتسبين للسنة أنه لهم علم الحقيقة ولهم دون غيرهم علم الشريعة وأن الله خص أقطابهم بالعلم اللدني: (حدثني قلبي عن ربي)، ويأخذ من دون هذا العلم من رواية ميت عن ميت.

٣) يتفق كثير من المنتسبين للسنة والشيعة على أنه للدين من كتاب الله وسنة رسوله - ظاهراً وباطناً؛ الظاهر لعامة الناس والباطن خاصتهم من الأئمة والأولياء والمشايخ، وهذا من أكبر أبواب انحرافهم عن الهدى.

٤) يقدس المنتسبون إلى السنة والشيعة قبور أوليائهم وأئمتهم وأقطابهم فلا يكاد المسلم في بلاد المسلمين اليوم يحرر إلا على صنم وثن أو صنم (منذ شيد الفاطميون الوثن المنسوب للحسين رضي الله عنه في القاهرة حتى بنى الشيعة الوثن على قبر الخميني في إيران وتجتمع معظم الطوائف المنتسبة للإسلام على بعض هذه الأوثان مثل المنسوبة إلى علي أو الحسين أو زينب رضي الله عنهم والمنسوبة للأنبياء ويختص بعضهم بأوثان غيرها كالمنسوبة إلى ابن عربي والشافعي والبدوي وغيرهم).

٥) تحوّلت الشيعة من السنة خطيئة الجمعة من الدينية إلى السياسية غير الشرعية والدعوة من الوحي إلى الفكر.
٦) التكفير والاغتيال والتفجير والمداهمة والإرهاب أمور مشتركة بين كثير من دعاة السنة والشيعة منذ قتل الخوارج عثمان ثم علي رضي الله عنهما بحجة المطالبة بالمساواة في العطاء وتحكيم ما أنزل الله في سياسة الحكم وسياسة المال، ولم يكن غريباً أن أتصرف على سبع مناطق في إيران المنتسبة للشيعة ترفع اسم سيد قطب المنتسب للسنة عرفاناً بفضله في انتقاص عثمان وإخراج عهده من الخلافة الراشدة الزهيدة وست معاوية وعمرو بن العاص ولمز غيرهما من كبار الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.
وبالأمس في القرن الخامس الهجري قام حسن الصباح المنتمي إلى التشيع من قاعدة (الاغتيال) بدوره الفدائي في الإرهاب وتبعه في القرن الأخير أفراد أبرزهم (واشهرهم عند المنتمين إلى السنة) نواب صفوي رئيس فدائية إسلام.
والنقطة الشاملة الأرهاب عند من المنتمين إلى السنة هو اسم الإسلام والمسلمين في العصر الأخير باسم الإسلام والجهاد في سبيله.
والحق أن مفاهيم الخلاف والاشتراك بين الطوائف والفرق والأديان بعيدة عن الدين (أي دين) وأكثر دوافعه وأهدافه الدنيا: (اكتساب المال أو الجاه أو التسلط أو الوظيفة أو الحمية أو الحقد والحسد) وهذه تركب الجميع الدين مطية لها، وفي الحرب الأهلية في أحد بلاد الشام بدأ القتال (على الهوية) بين الطوائف ثم تحاربت الطوائف ذاتها، وفي حرب الأحزاب الأفغانية ضد الشيوعيين الأفغان والروس بدأت باسم الإسلام ثم تحاربت الأحزاب والقبائل على الغنيمة، بل إنه ما سمي بالحروب الصليبية بدأ باسم استرجاع فلسطين من المسلمين ثم ظهر لكل طائفة لهدف دنيوي: الأرض والذهب للنبلاء والتجارة للمدن الإيطالية، وظهر طغيان الكنيسة الكاثوليكية على الأرثوذكسية، بل يقع في أحوال الرقيق (ممن لم يمت بالجوع والمرض) آلاف من أطفال حملة الأطفال الصليبية. والله الموفق